المخطوطات في المؤسسة العامة للآثار

أسامة ناصر النقشبندي

المؤسسة العامة للآثار ـ بغداد

سنة ١٩٣٣ تأسست في المتحف العراقي مكتبة صغيرة سميت بمكتبة المتحف العراقي، وقد خصصت لها قاعة من قاعات مديرية الآثار، ثم أخذت تنمو وتتوسع وجلبت لها المطبوعات من كل مكان وفي كافة اللغات وأقيمت لها بناية خاصة لصق بناية المتحف العراقي القديمة، ونقل إليها الأستاذ كوركيس عواد عندما تولى الأستاذ ساطع الحصري مديرية الآثار وأصبح أميناً لها سنة ١٩٣٦ واعتنى في اختيار والتقاط الكتب النادرة والمهمة لها حتى أصبحت مرجعاً ثقافياً عراقياً لما تضمنته من المصادر والمراجع ونوادر الكتب، وأخذ يرتادها أعلام العراق من الأدباء والمؤرخين والمحققين، فكانت مركزاً للعلم والأدب والثقافة شأن ما كانت عليه خزائن الكتب القديمة في بغداد والقاهرة والمدينة ودمشق.

إلا أنه لم يكن للمخطوطات نصيب في مكتبة المتحف العراقي حتى عام ١٩٤٠ حيث اقتني وسجل أول مخطوط فيها وهو معجم البلدان لياقوت الحموي، وأهديت بعد ذلك مكتبة رشيد عالي الكيلاني ومكتبة الآباء الكرمليين ببغداد المعروفة بمكتبة انستاس ماري الكرملي ومكتبة ملاصابر الكركوكلي وغيرها.

وفي عام ١٩٦١ نقلت المخطوطات من بناية مكتبة المتحف العراقي لتستقر في إحدى قاعات المدرسة المستنصرية العباسية بعد أن تمت صيانتها وقد بلغ عدد المخطوطات آنذاك (٢٢٥٠) مخطوطاً وعهدت مسؤوليتها للمرحوم السيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات والأبحاث الاسلامية. وقد عملت في تلك الفترة موظفاً في مديرية الآثار العامة وكنت طالباً في كلية التجارة والاقتصاد ونسبت للعمل في قسم المخطوطات في ١٠/٢/١٩٦٢ وبعد وفاة المرحوم ناصر النقشبندي أصبح مسؤولاً عن المخطوطات المرحوم عبدالحميد خياط، وفي نهاية تلك السنة أصبحت مسؤولاً عن قسم المخطوطات.

وفي عام ١٩٦٣ انتقل القسم مع مكتبة المتحف العراقي إلى البناية الجديدة الحالية، وخصص فيها ركن خاص للمخطوطات، وقد عملت في تلك الفترة مع الأستاذ كوركيس عواد حتى خروجه إلى التقاعد سنة ١٩٦٤ وحاولت خلال عملي معه الافادة من تجربته في دراسة وفهرسة وتقييم المخطوطات وبعد ذلك تابعت موضوع المخطوطات في العراق وأماكن وجودها ورصدها وإقتنائها إلا أن هذه العملية كانت ضيقة لعدم توفر المبالغ اللازمة للاقتناء وقلة الوعي في الحفاظ على المخطوطات. وقد بلغ عدد المخطوطات في نهاية الستينات نحو أربعة آلاف مخطوط.

وفي بداية السبعينات بدأ الاهتمام الفعلي بالمخطوطات حيث خططت مديرية الآثار لجمع المخطوطات وحمايتها ومنع الاتجار بها مستعينة بقانون الآثار رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ وبعد ذلك شرع التعديل الأول للقانون المذكور وأفردت فقرات ومواد خاصة لحماية المخطوطات وتنظيم حيازتها والتصرف بها. وجعلت مديرية الآثار الدائرة المركزية للمخطوطات في العراق ومنحت الفرصة لحائزي المخطوطات من أفراد ومكتبات عامة وخاصة لتسجيل ما بحوزتهم من مخطوطات، كما تم رصد المبالغ اللازمة لاقتناء المخطوطات وشكلت لجان فنية انتقلت إلى المحافظات والمناطق النائية بحثاً عن المخطوطات واقتنائها وتسجيلها وإسداء الارشادات اللازمة لحمايتها. وكانت حصيلة هذه العملة الكبيرة

التي تعد مرحلة انتقال تاريخية في عالم المخطوطات في العراق أن بلغت المخطوطات التي يمتلكها القسم الآن أكثر من (٣٦) ألف مجلد مخطوط من بينها مجاميع كبيرة من المخطوطات النادرة والفريدة والخزائنية والتي كتبت بعضها بأقلام مؤلفيها كما أن من بينها مخطوطات لا تشكل الأهمية التي تتصف بها تلك المخطوطات مع ذلك فإن ما تحتويه مهما كان ، يعد مادة حضارة فكرية ، أنتجته الأمة كما تحمل بعض المخطوطات حديثة الخط تأليف ونتاجات فكرية وضعت في عهود التقدم والازدهار وفقدت ولم نعلم عنها شيئاً وجاءتنا بنسخ حديثة . لذلك فان كل مخطوط له أهمية خاصة لأن التأريخ بالنسبة للمخطوطات قد توقف ولم يعد هنالك نساخ يكتبون وينمقون المخطوطات بعد أن حلت الطباعة ويسرت طبع التأليف بآلاف النسخ .



وخلال هذه الفترة تم اقتناء خزائن خطية ذات طابع تراثي حافظ عليها أصحابها وعرفت بأسمائها كخزانة عبدالله السنوي وعباس العزاوي ومحمد صالح السهروردي وصادق كمونة وعبد الوهاب النائب وعبد الرزاق الألوسي ومسعود محمد وقاسم الرجب وأحمد نيازي وغيرهم .

من نوادر المخطوطات :

لقد تم اقامة أكثر من معرض للمخطوطات منذ عام ١٩٧٣ إلى الآن للتعريف بنوادر ونفائس المخطوطات ولاطلاع الجمهور على شكل المخطوط العربي وأساليب صنعه وتذهيبه وزخرفته وتنميقه وجماليته وشكل الورق والغلاف وأنواع الخطوط واللوحات الفنية . وقد بادرت مؤسسة الآثار أخيراً إلى تخصيص قاعتين لعرض المخطوطات فيهما في المتحف العراقي بصورة دائمة تم افتتاحهما مؤخراً وهي بادرة ينفرد بها العراق من بين الأقطار العربية .

ومن نوادر المخطوطات التي نمتلكها صفحات من القرآن الكريم كتبت على الرق بالخط الكوفي ترقى للقرنين الأول والثاني الهجريين وأجزاء من القرآن الكريم كتبت على الرق كذلك ترقى للقرن الثالث الهجري وكتاب مجمل اللغة لابن فارس كتب سنة ٤٤٦ هـ ورسالة الوافق بخط الخطاط البغدادي ابن البو المتوفى سنة ٤١٣ هـ وكتاب رسوم القضاة وكتاب الشروط للسمرقندي كتب سنة ٥٠٩ هـ مع مجموعة أخرى من المخطوطات كتبت بأقلام مؤلفيها كابن خلكان وابن كثير الدمشقي وابن حجر العسقلاني والحافظ الذهبي والألوسي الكبير وغيرهم . إضافة إلى عدد من المخطوطات التي كتبت لخزائن الخلفاء والسلاطين والولاة والقضاة وغيرهم .

فهارس المخطوطات :

لقد نشر الأستاذ كوركيس عواد قبل سنة ١٩٦٠ ثلاث مقالات عن مخطوطات التأريخ والطب والأدب في مجلة (سومر الأعداد ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥) عندما كان عدد المخطوطات في حدود (٢٢٠٠) مخطوط .

وفي سنة ١٩٦٤ نشرتُ مقالة في مجلة الاذاعة والتلفزيون ضمنتها فهرساً لمخطوطات الموسيقى والغناء والسماع بمناسبة انعقاد المؤتمر العربي الأول للموسيقى.

وفي عام ١٩٦٨ أصدرتُ الجزء الأول من فهارس مخطوطات مكتبة المتحف العراقي تناولت فيه فهرسة (٥٠٣) مخطوطة في اللغة وعلومها. وفي سنة ١٩٧٥ صدر الجزء الثاني عن مخطوطات الفقه وأصوله تضمن وصف ٦٨٧ مخطوطاً. وفي سنة ١٩٧٩ صدر الجزء الثالث عن مخطوطات الغناء والسماع والموسيقى التي بلغت (٤٩) مخطوطة. وفي سنة ١٩٨٠ صدر الجزء الرابع العربي تضمن وصف (مجموعة من المخطوطات) مخطوط في الحساب والهندسة والجبر وفي سنة ١٩٨١ صدر الجزء الخامس عن مخطوطات الطب والبيطرة والصيدلة تناولت فيه وصف (٧٤٩) مخطوطاً وفي سنة ١٩٨٢ صدر الجزء السادس تناول وصف (٦٠٠) مخطوطة في الفلك والتنجيم. وفي نفس السنة صدر الجزء السابع الذي تناول وصف (٩٧١) مخطوطة في التأريخ والتراجم والسير. وفي سنة ١٩٨٣ صدر فهرس بالمخطوطات العسكرية نشر في مجلة سومر. إن ثلاثة فهارس من التي صدرت شاركتني فيها الآنسة ظمياء محمد عباس الموظفة في قسم المخطوطات. وأنجزت معها أخيراً فهرس مخطوطات الأدب قدم للطبع كما أعمل الآن على انجاز القسم الثاني من فهارس مخطوطات اللغة وعلومها تشاركني فيه السيدة باسمة الحبوبي. وأنجزت كذلك دراسة لاجازات الخطاطين في قسم المخطوطات والتي بلغت (٥٠) اجازة وهي من أكبر المجموعات في العالم وسأحاول طبعها بالألوان لاهميتها.

أما الخزائن الخطية الخاصة التي يحتفظ بها قسم المخطوطات فقد أصدرت لها عدة فهارس نشرتها في مجلة المورد منها مخطوطات الخزانة الألوسية ومخطوطات خزانة رشيد عالي الكيلاني ومخطوطات الخزانة العمرية وصدر أخيراً القسم الأول من مخطوطات خزانة عباس الغزاوي وسيستمر نشر فهارسها تباعاً.

لقد اتبعت في أعداد هذه الفهارس أسلوبين. الأول: هو أسلوب الفهرسة الوصفية الذي تناولت فيه ذكر عنوان المخطوط



جانب من خزانة عباس العزاوي قبل نقلها الى مؤسسة الآثار والتراث

واسم المؤلف والتعريف الموجز بالكتاب وأول المخطوط وتأريخ النسخ واسم الناسخ وما عليه من تملكات وقراءات وسماعات واجازات وحواش وشروح ثم ذكرت قياسات المخطوط والمصادر التي تتكلم على اسم المؤلف وعنوان الكتاب وألمحت فيما إذا كان المخطوط قد طبع أم لا وزودت الفهارس بنماذج مصورة للمخطوطات وكشافات للاعلام والعناوين والأمكنة. ومن الفهارس التي أصدرتها بهذا الأسلوب فهرس اللغة وعلومها والفقه وأصوله وفهارس مخطوطات الخزائن الخاصة التي نشرت في مجلة المورد.

والأسلوب الثاني الذي نهجته هو الفهرسة التحليلية حيث ضمنت الفهارس إضافة إلى ما ذكرته في الفهرسة الوصفية تعريفاً تفصيلياً لما يتضمنه المخطوط خصوصاً إذا لم يكن مطبوعاً، فقد ذكرت أقسام الكتاب من مقالات وأبواب وفصول وفوائد، وقد استخدمت هذا الأسلوب في فهارس المخطوطات العلمية كالفلك والتنجيم والحساب والهندسة والجبر والطب والبيطرة والصيدلة، حيث أن معظم المؤلفات العربية في



صفحة العنوان من النسخة الخزائنية لكتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي التي كتبت سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٤ م

مواضيع العلوم اتخذت شكل الموسوعات العلمية فالكتاب الواحد يتكلم على جملة علوم في اختصاصات متقاربة في حين أصبح في الوقت الحاضر لكل علم من تلك العلوم ولفروعها كذلك تخصص معين فمن أجل الكشف عن محتويات كل مخطوط رأيت من الضروري أن أبين ما يحتويه من علوم ومعارف ليفيد منها كل باحث في حقل اختصاصه. فكتب الطب مثلاً معظمها يتكلم في الأمراض الكلية والجزئية كأمراض الرأس والعين والأذن والأنف والحنجرة وأمراض القلب والمعدة والمفاصل والجهاز العصبي والعظام والأورام والأدوية والعقاقير المفردة والمركبة، وعليه فالضرورة تقضي بتفصيل ما يحتويه المخطوط من هذه.

كما أضفت كشافاً جديداً لم يظهر في الفهارس التي صدرت في العالم هو كشاف أوائل المخطوطات بدأته في فهرس الفقه وأصوله الذي صدر عام ١٩٧٥ . وقد دفعني إلى صنعه هو عملي في الفهرسة حيث أن هذا الكشاف يوفر على المفهرس جهداً ووقتاً كبيرين فمن مجرد تطبيق أول المخطوطات مع كشافات الأوائل يستطيع المفهرس معرفة عنوان المخطوط واسم المؤلف، وإذا علمنا أن أكثر من ٥٠ ٪ من المخطوطات العربية في العالم لم تفهرس فان هذا الكشاف إذا ما شاع استخدامه سيختصر لنا الوقت لانجاز الفهارس ويسهل عملية الفهرسة. وقد رأيت أن هذا الكشاف استخدم أخيراً في فهرس أوقاف السليمانية بالعراق الذي صدر عام ١٩٨٣ وهي خطوة جيدة أتمنى أن تعم.

بالاضافة إلى هذه الفهارس التي أصدرناها فاننا نعمل باستمرار على وضع بطاقات فهرسة في مختلف العلوم ولجميع المخطوطات لتسهيل مهمة الباحث والمحقق. كما نعمل الآن بمشروع مهم وهو وضع بطاقات فهرسة للخزائن الخطية العامة والخاصة الموزعة في محافظات القطر والمسجلة لدينا في سجلات الحيازة والتي يزيد عددها على ٥٠ ألف مجلد مخطوط، حيث ثبتنا في بطاقات الفهرسة عنوان المخطوط واسم المؤلف وتأريخ النسخ واسم الناسخ وموضوع المخطوط وقياساته مع ذكر رقم المخطوط في الخزائن الخطية والمحافظة الموجودة فيها ورقم سجل الحيازة وقد استخدمنا لذلك رموزاً لغاية الاختصار. وسنحاول انجاز هذا الفهرس البطاقي في أقرب وقت ليستطيع الباحث والمحقق الوقوف على كافة المخطوطات في العراق من خلال هذا الفهرس ـ البطاقي دون تحمل عناء التنقل للبحث عما يريد. كما ستكون بطاقة ـ الفهرسة هذه انموذجا لعملية البرمجة عند استخدام أجهزة الكومبيوتر في فهرسة المخطوطات.

أما بالنسبة للخدمات التي نقدمها للباحثين والمحققين فان جميع المخطوطات في متناول الباحثين وتحت تصرفهم لغرض الدراسة والتحقيق والنشر، ونقوم بتصوير المخطوطات حسب الطلبات التي تقدم إلينا لغرض التحقيق والنشر على أن يكون صاحب الطلب من المحقق والباحثين وإذا كان لغرض الدراسات العليا فتعزز الطلبات بكتابة تأييد من الجامعات أو المؤسسات

العلمية. وهناك مسك سجلات خاصة بالتصوير لغرض تنسيق عملية تحقيق المخطوط كما يتم حجز المخطوط الذي يصور لأحد الباحثين لغرض التحقيق لكي لا يتكرر العمل من قبل أكثر من محقق في نفس الوقت ولحماية المحققين من التجاوز على عملهم، يتم تنبيه صاحب أي طلب إلى أن المخطوط يقوم بتحقيقه فلان ... وهذا العمل قد حقق خدمة جليلة للكثير من الباحثين.

ولابد لي من الاشارة أخيراً إلى أن قسم المخطوطات يحتفظ بعلاقات طيبة مع مراكز المخطوطات والمعاهد والجامعات التي تهتم بالتراث العربي المخطوط ودراسته ونشره ومنها معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية والجامعات ومراكز المخطوطات في الأقطار العربية على وجه الخصوص. وكذلك أغلب مراكز المخطوطات في العالم وإن هذه العلاقات وتبادل المعلومات في حقل المخطوطات لها أهمية كبيرة في حماية المخطوطات والتعرف على ما يصدر من الفهارس والدراسات وكذلك ما يحقق وينشر من تراثنا العربي الاسلامي.